يجمع شعوبها دين أو لغة . وحاكم الدولة الغالبة جارية على ما ذكرنا حتى المحاكم الشرعية فان الذميين يتحاكمون اليها في المواريث وغيرها فيحكم القضاة بينهم بالشريعة الغراء كما هو معلوم للجميع

﴿ الاستعمار الاوربي ﴾

جاء في جريدة ثمرات الفنون الغراء تحت هذا العنوان مانصه

ما استعمر الاوربيون قرية أو بلدة الا واستبدلوا أخلاق اهليها واستنزفوا ثروتهم اذا لم تقل دماءهم وارتكبوا فيها أنواعا من الفظائع المنكرة مما تستك من هوله الاسماع وتتبرأ منه المدنية الحقة وذلك بزعم إرهاب البلاد التي يستعمرونها فلا يعصون لهم أمرا ومن المشهور عن عدلهم انهم لايعاملون أهالي المستعمرات معاملة رعاياهم الأصليين فالذي يجوز للانكليزي الأصل مثلا ان يعمله في الهند لايجوز للهندي عمله أو ان يتمتع هذا بالحقوق التي يتمتع بها ابن التاميز و بالأخص اذا كان سكان لمستعمرة من المسلمين وكثيرا ما يقتلون الأنفس بغير ذنب أو بمجرد الوهم والتصور الى غير ذلك من الأعمال الوحشية . ومن العجيب انهم مع هذا كله ينادون « نداء جهوريا عريضا » أنهم نصراء الانسانية وحلفاء المدنية وانهم لا يودون الا خير بني الانسان وراحتهم بوجه عام دون الالتفات الى الأجناس والاديان . دعوى باطلة وتشامخ كاذب فياشقاوة العباد الذين قضى عليهم الدهر فكانوا سكان بلاد اتخذها الأوربيون مستعمرة لهم . ولكيلا يذهب الوهم بالقارئ الكريم اننا امتطينا في قولنا هذا مطية المغالاة نورد له هنا حادثة قالها القوم أنفسهم . ومعلوم أن الانسان قد لا يذكر فظائع نفسه بالتمام بل كثيراً مايسدل عليها ثوبا من التمويه

قالت جريدة التيمس والايكو بتاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٨٩٤ عدد ٨٦١٠ صحيفة ٩١٨ تحت عنوان « الفرنسيس في غربي افريقية » ما تعريبه

« نقل الينا ركاب الباخرة المسماة « ايل دمز » وبحارتها حادثة حدثت في مستعمرة جبون الافرنسية وهي أن أحد التجار الفرنسويين قد عامل أربعة رجال من أهالي

المستعمرة بسلع تجارية ولما استحق له عندهم مبلغ قليل من المال ذهب الى قريتهم وطالبهم بذلك فاستمهلوه مدة ريثما يتأتى لهم جمع المال فابى وشدد عليهم النكير بالطلب واخذ يؤنبهم و يشتمهم مما افضى الى المخاصمة فاستل الفرنسي مسدسا واطلق رصاصة على احد الاربعة فقتله ولما رأى الثلاثة رفيقهم يختبط بدمه قبضوا على القاتل الافرنسي ونزعوا المسدس من يده ورأموا وثاقه وتسليمه الى الحكومة فلم يستطيعوا ذلك اذ فر من بينهم بواسطة ... ولم يكتف القاتل بما عمل بل ما بلغ مقر حكومة المستعمرة الاوشكا اولئك الثلاثة فارسلت الحكومة اليهم عدة من رجال الدرك فجاؤا مكبلين دون ان يعبأ بالدم المسفوك ظلما وعدوانا

ولما أحضر الثلاثة لدى المحكمة الفرنسوية وقصوا عليها دعواهم بالحق لم يستطع الفرنسي القاتل الانكار بل أقر بفعله وقال انني قتلت منهم نفساً غير انهم أوسعوني بعد ذلك ضرباً ورأموا وثاقي والاتيان بي الى هنا موثقا ففرت فصدر حكم المحكمة العادلة اذ ذاك لا يقتل القاتل بل يقتل الثلاثة الذين ضربوه لقتله رفيقهم بدعوى ان ليس لهم حق بامانة رجل افرنسي ولو كان قاتلا

ولما كان اليوم التالي سيق اولئك الثلاثة المساكين الى فسحة في ظاهر البلدة وربطوا بالاشجار واطلق عليهم الجندي الفرنسي الرصاص حتى فارقوا الحياة وتركوا مدة حالهم هذا دون ان يواروا التراب ليعتبر بهم ولا يتجاسر أحد على اهانة الفرنسوي وان كان قاتلا . اه

هذه ثمرة من ثمر الاستعمار الاوربي وهذا هو نظام تمدنهم وشغفهم بخير النوع الانساني ونصرتهم للمدنية فليتدبره اولو الالباب . ومن غريب الاتفاق انه في ذلك الشهر الذي حدثت فيه هذه الحادثة التي لم يروانا التاريخ افظع ولا أقبح منها حتى ولا من اشر خلق الله وأشدهم غلظة وهمجية فرجت دولتنا العلية العثمانية عن كثير من أشقياء الارمن الذين سعوا في الارض فسادا

وقالت الجريدة الانكليزية ذاتها بتاريخ شهر آب سنة ١٨٩٣ تحت عنوان « قتال شديد » ما نصه (مترجما) بالحرف :

لما وصلت المدرعة الانكليزية « بنش » أنزلت بحارتها مدججين بالسلاح

وذهبوا بقيادة الكونت لو فاتلي مع من عنده من الجند الى التل المعروف بتل الاتراك ومن ثم الى مدينة هجران ودهموها على حين غفلة من أهلها فلم ينج منهم أحد ثم أوقدوا النار بمنازلها فمن لم يمت بالرصاص قتلا مات بالنار حرقاً ولم يمض عليها بضع ساعات حتى أصبحت قاعا صفصفاً كأنها لم تكن بالامس . ثم قالت الجريدة :

ولقد أحسن الكنت المذكور في عمله هذا غاية الاحسان اذ بهذه الاعمال ترهب أهل البلاد ويفزعون . اه

هاؤم أيها القوم نغمة أخرى من نغمات المدنية الأوربية في مستعمراتها ولو رامت دولتنا العلية قصاص أحد المفسدين من الأرمن وغيرهم ممن ارتكبوا ما ارتكبوه من أنواع الفظائع وضروب المنكرات لثار ثائر القوم في أوربا ينادون يا للانسانية يا للمدنية يا . . . يا . . . ولما كانوا هم قاتلي الابرياء الذين ينهبهم الاطفال الرضع والعجائز كما مر آنفا قاموا يحمدون هذا الفعل الفظيع الذي لا يسعنا الا أن نعده ضربا من ضروب التمدن الجديد : وقانا الله شره

قال حضرة المطران كولونصو الانكليزي في كتابه المدعو (خراب بلاد الزولو) وهو مجلدان مطبوع في عاصمة البلاد الانكليزية عام ١٨٨٤ وقد صدر الوجه الأول من المجلد الأول منه برسمه وكتب تحته ما تعريبه بالحرف :

«إنه لمخيف ومحزن أن نرى تيار الشرور قد طغى طغيانا عظيما في البلاد (أي بلاد الزول) وليس بالامكان ايقافه وان أمنع من اظهار المظالم وبيان الجور من هذه الحرب الزولية حتى كان ما كان ولم تمكن من ايقاف سفك الدماء ومنع خراب البلاد وتدميرها ظلما وعدوانا حتى فات الوقت لحفظ حياة ألفي جندي انكليزي ووطني « ممن يستخدمه الانكليز » وعشرة آلاف رجل من الزوليين . كما فات حفظ اسم انكلترا من ان يصبح علما عند أهل هاتيك البلاد للظلم والجور والخيانة والعسف بعد أن كان علما للعدالة والأمانة والرأفة والاحسان . اه

وذلك كلام رئيس روحي ترجم التوراة الى لغة الزولو وقد كان بودنا نشر ما أودعه في كتابه هذا من أنواع المظالم وضروب الرشوة وسفك الدماء الى غير ذلك مما نرجع اليه ان شاء الله اه